

عشتُ في زمن عرفات

عبد الفتاح القلقيلي

كان عرفات، ومازال، موضوعا يغري بالكتابة عنه. فكل من احتك به، ولديه امكانيات للكتابة، كتب عنه. فهذا الاخ بكر عبد المنعم، الذي كان احتكاكه قليلا نسبيا مع ياسر عرفات، ابدع كتابا طريفا بعنوان "ذكرياتي مع ياسر عرفات، قصص وحكايا، نوادر وحكايات".

صدر العديد من الكتب عن ياسر عرفات بعدة لغات، سأشير لبعض ما صدر باللغة العربية، للتمثيل وليس للحصر:

١- ياسر عرفات الرقم الصعب، تأليف رشيدة مهران، صدر عن مؤسسة الديار للطباعة والنشر، في تونس.

٢- ياسر عرفات بين بندقية الثائر وخصن الزيتون_ ذكريات ومواقف مع الزعيم الفلسطيني، تأليف ريموندا الطويل، صدر عن منشورات ريموندا الطويل في رام الله عام ٢٠١٠.

٣- ياسر عرفات، تأليف بسام ابو شريف، صدر عن رياض الريس للكتب والنشر في لبنان عام ٢٠٠٥.

٤- ياسر عرفات وجنون الجغرافيا، تأليف نبيل عمرو، صدر عن دار الشروق في مصر عام ٢٠١٢.

٥- ياسر عرفات واقف في جفن الردى، تأليف داود ابراهيم، صدر عن دار الثائر للنشر والتوزيع في بيت لحم عام ٢٠٠٤.

٦- الرئيس _ سنوات مع ياسر عرفات، أحمد عبد الرحمن، صدر عن دار الشروق في رام الله عام ٢٠٠٦.

عند الكتابة عن ياسر عرفات يثور سؤال مهم: هل كان لعرفات "مدرسة" ام كان له "زمن"؟ لم تكن العرفاتية "مدرسة"، لان المدرسة منهج، يلتزم به العديد من اتباعها، وتكون النتائج متقاربة إن لم تكن متشابهة. ولكن العرفاتية كانت منهجا لعرفات لا يستطيع ان ينتهجه الا ياسر عرفات نفسه، وقد استحوذ من التاريخ على زمن صبغه بصبغته. ف"الزمن" هو فترة زمنية محددة تأثرت بظاهرة او ظواهر معينة مما امكن صبغها (الى حد ما) بصبغة تلك الظاهرة. وقد درج الكتاب والمؤرخون على اطلاق مصطلح "عصر" على تلك الفترة الزمنية. وقد اصطبغت فترة عرفات بصبغته (سلبا او ايجابا). اي كان لعرفات "زمن" عاش فيه العديد من الكوادر والقيادات الفلسطينية، ومنهم احمد عبد الرحمن الذي ختم اعماله بالكتاب الذي نحن بصدد القراءة فيه، وهو "عشت في زمن عرفات".

صدر الكتاب عام ٢٠١٣ عن مؤسسة ياسر عرفات، والاتحاد العام للكتاب والادباء الفلسطينيين. كما صدر على حلقات رقمية على موقع "دنيا الوطن" الالكتروني في اواخر العام ذاته.

كان الكتاب من ٢٨ فصلا، في ٣٢٨ صفحة من القطع المتوسط، يضاف لها ملحق يحتوي على العديد من الصور الفوتوغرافية ذات الدلالة.

اذكر هنا ان منهجي في عرض الكتب هو "عرض تحريضي" وليس "عرضا تعويظيا"، اي لا اعرض الكتاب لأعوّض على من لم يقرأه، انما أعرضه لأحرّض من لم يقرأه بعد على قراءته. وهذا الكتاب ليس حريا ان يُقرأ فقط، بل جدير بأن يُقرأ ويُقتنى، للرجوع اليه عند الخوض في الحوارات سواء كان موقفك من الكاتب سلبيا او ايجابيا.

انطلاقا من منهجي بعرض الكتب (المشار اليه اعلاه) اشير الى ما يلي:

لقد كان الكتاب شاملا لكل الايجابيات والسلبيات مما يجعله (بحق) ارشيفا لـ"زمن عرفات"، فيه تفاصيل ادانة ياسر عرفات للارهاب، وتفاصيل مؤتمر مدريد، وتفاصيل اوسلو وملحقاتها ونتائجها من مؤتمر القاهرة الى مؤتمر طابا الى كامب ديفيد الى واي ريفر الى مؤتمر شرم الشيخ. ولا يعيب

الكتاب الا غياب محطتين مهمتين في "زمن عرفات"، وهما: احتجاز ياسر عرفات داخل اسوار "المقاطعة" في رام الله، ورئاسة الاخ ابو مازن للوزراء في "زمن عرفات".

وارى ان النقص الاول موضوعي لان احمد عبد الرحمن لم يُحتجز مع ابو عمار في "المقاطعة"، ولو كتب عن تلك المحطة ستكون رواية عن الآخرين الذين شهدوها وعاشوها. اما النقص الثاني فهو ذاتي لانني اعتقد ان احمد عبد الرحمن تجنب الكتابة عن رئاسة ابو مازن للوزارة لانها في حينه كانت قضية اشكالية، ولم يشأ ان يزج بنفسه في ذلك الميدان ملتزما بالمثل الشعبي الذي يقول: الباب الذي يأتيك منه الريح سدّو واستريح.

وهناك بعض الذين قرأوا الكتاب يرون أن من عيوب الكتاب ان احمد عبد الرحمن ضخم دوره في زمن عرفات. وانا إذ لاحظت تضخيم دور احمد عبد الرحمن الا انني لا اعتبر ذلك عيبا في الكتاب لان الكتابة عن احمد عبد الرحمن في "زمن عرفات"، وحتى آلة التصوير الفوتوغرافية الاكثر امانة بتصوير الواقع تضخم الشخص الاقرب الى عدستها. فأية مذكرات، مهما كان المتذكّر موضوعيا سَظْهر دوره اضمم مما هو في الواقع. اي ان تضخيم دور احمد في هذا الكتاب لا يعتبر عيبا، وليس مؤشرا على قلة مصداقيته لان عنوان الكتاب "عشت في زمن عرفات" وليس "زمن عرفات الذي عشت فيه".

انتهى احمد عبد الرحمن من الكتاب في ٢٠١٣/١٠/٢٠.

بدأ كتابه بعد شهادته للتاريخ والاجيال بالفصل الاول الذي تحدث فيه عن "يساريته" في جامعة دمشق، وانضمامه لحركة فتح (لقطاعها الطلايبي) عام ١٩٦٧، وكان عاطف ابو بكر مسؤوله التنظيمي. وينهي الفصل بتكليفه من قبل فاروق القدومي بالسفر الى السودان للاتصال بالحزب الشيوعي السوداني.

وفي الفصل الثاني تحدث عن جولته في اوروبا، وعن تأسيس اذاعة "صوت العاصفة" في مدينة درعا_ سوريا.

وفي الفصل الثالث يعرض تفاصيل تجربته في اذاعة "صوت العاصفة" في درعا بعد ان تسلم المسؤولية الكاملة عليها منذ نوفمبر ١٩٧٠، كما يعرض مبادرته في المؤتمر الثالث لحركة فتح في حمورية عام ١٩٧١، حيث فجر "قنبلة" البرنامج المرحلي. ويقول احمد عبد الرحمن ان ما دفعه

الى النهج الجديد هذا ان عددا من الفدائيين اثناء اشتباكات الاحراش مع الجيش الاردني هربوا الى الضفة الاخرى من نهر الاردن وسلموا انفسهم للاسرائيليين.

اما الفصل الرابع القصير فقد تذكر فيه حضوره مؤتمر الحزب الاشتراكي التشيلي في عهد سيلفادور اليندي في شهر شباط ١٩٧٢.

اما الفصل الخامس، والذي عنوانه بـ"سقوط الوصاية والاوهام"، فقد عنى بذلك سقوط مشروع المملكة المتحدة الذي اطلقه الملك حسين.

ويكرّس الفصل السادس للمحاولات السورية لاحتواء فتح والسيطرة على منظمة التحرير الفلسطينية.

اما الفصل السابع فهو الاوسع من حيث دور احمد عبد الرحمن لانه مخصص لـ"مستقبل الاراضي الفلسطينية- بين المستحيل والممكن"، اي عصر البرنامج المحلي، والصراع حول ذلك البرنامج.

والفصل الثامن كرسه للحرب الرابعة (اجتياح اسرائيل للبنان عام ١٩٨٢). وفي هذا الفصل يفصل العديد من الاحداث والمعارك والمخاطر التي تعرضت لها كل القيادات الفلسطينية وعلى رأسهم ياسر عرفات. كما انه من خلال ذكره للاحداث ينفي نفيا قاطعا اتهامه بالاختباء في "الحمرا" خلال تلك الفترة. وفي إطار هذا النفي يذكر احداثا تؤكد انه كان الى جانب ياسر عرفات وسعد صايل وابو جهاد.

وكان عنوان الفصل التاسع ونسيجه الخروج من بيروت الى تونس.

وفي الفصل العاشر يستعرض انحراف السادات وزيارته لاسرائيل، ذلك اليوم الذي قال فيه ابو عمار: "اليوم ضاعت فلسطين".

والفصل الحادي عشر كان مخصصا لمسألة اغتيال سعد صايل.

وفي الفصل الثاني عشر يتحدث عن الانشقاق في حركة فتح عام ١٩٨٣.

والفصل الثالث عشر مخصص لاحداث طرابلس.

وخصص الفصل الرابع عشر لرحيل ياسر عرفات من طرابلس الى اليمن، وزيارته للرئيس حسني مبارك في القاهرة، وما اثارته تلك الزيارة من اشكاليات.

وفي الفصل الخامس عشر يأتي احمد عبد الرحمن على نتائج زيارة ياسر عرفات للقاهرة وردّات الفعل الفلسطينية عموما والفتحاوية خصوصا.

واحتوى الفصل السادس عشر على توتر العلاقة مع الاردن، وحرب المخيمات في لبنان، تلك الحرب التي شنتها حركة "أمل" اللبنانية واعوان سوريا في لبنان .

اما الفصل السابع عشر فكان للانتفاضة التي رآها حركة فلسطينية شعبية في إطار البرنامج المرحلي ومنظور "الدولتين".

اما الفصلان الثامن عشر والتاسع عشر فكانا للعلاقة مع العراق. ويفصل احمد عبد الرحمن في مسألة اغتيال ابو اياد وابو الهول وابو محمد والتي كانت عذرا لياسر عرفات ليغادر بغداد في الوقت المناسب. ولولا تلك المغادرة في ذلك الوقت لربما كانت نهاية ياسر عرفات.

وكان الفصل العشرون مخصصا لآثار "ام المعارك" على الساحة العربية عموما وعلى الساحة الفلسطينية خصوصا.

واما الفصل الحادي والعشرون فكان للمرحلة الجديدة، بداية مسيرة التسوية في مؤتمر مدريد.

وفي الفصل الثاني والعشرين يفصّل احمد عبد الرحمن حادثة سقوط طائرة ياسر عرفات في الصحراء الليبية، وخروجه سالما، مما يجعل ياسر عرفات جديرا بلقب "طائر الفينيق".

وفي الفصل الثالث والعشرين يتعرض الكتاب لمسألة عدنان ياسين الجاسوس الاسرائيلي في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في تونس.

وفي الفصل الرابع والعشرين يتحدث احمد عبد الرحمن عن عودته الى ارض الوطن مع الاخ ابو مازن في اوائل ايلول من عام ١٩٩٤.

وفي الفصل الخامس والعشرين يعود احمد عبد الرحمن الى تونس لانهاء علاقته هناك، وليبقى في رام الله في الفصول الثلاثة الباقية.